الالتزام في شعر الفخر عند الصعاليك من منظور صدق الخبر

الباحثة : م.م مروة شاكر منصور

الجامعة العراقية – كلية التربية للبنات – العراق

Commitment in The Pride Poetry of the Sa'alik from the Perspective of Truthfulness of the News

Marwa Shaker Mansour

Iraq-Girls for Education of College

الملخص

إنّ لفخر الصَّعَالِيك اتّجاهًا مختلفًا عن اقرانهم، فلم يكن انعكاساً لعالم الواقع ونقلاً له، بل كان رؤى فكريَّة ونفسيَّة يؤوِّلون فيها ما يعانوه، ويسعون في شعرهم الى توضيحه فنّياً ، ومن صدق الخبر البلاغيّ ننطلق في هذه الدّراسة لبيان مدى الاجادة في التّعبير عن الصّدق والواقع فالشّعر وسيلة عاطفيّة ، ووجدانيّة ، وانفعاليّة مؤثّرة ،عن طريق الهندسة الفنّيّة في النّصِّ ، وصدّق الخبر اهم وسائل هذا التّشكيل ، فمن اسلوب الخبر وأهمّيّته في الخطاب البلاغيِّ ومكوّناته ، يوضح لنا اشعار الصّعاليك وما تميزّو به من رؤية فكريّة جماليّه ، واهم الدّلالات التي احتوتها اشعارهم ؛ لان الخبر يُعبّر عن عواطف القائل وتصوّراته وتطلّعاته ، ومدى قدرته على إفادتنا والتّأثير فينا ، والصّدق في الخبر ليس مرتبطًا بالقائل وحده ، ولا بالسّامع وحده ، ولا بالواقع وحده بل مرتبط بهم جميعا وقدرته على الامتاع والافاده ، ومن خلاله يمكن ان ندرك الرّؤى الفكريّة للصَّعاليك ونتبيّن ذلك من خلال الصّعلوك والالتزام ومدى قدرة الشّاعر للتّعبير عن طموحه البشريّة التي عبر عنها أدبهم.

كلمات مفتاحية: (الصعلوك ؛ الالتزام ؛ شعر الفخر ؛ منظور).

Abstract

The pride poetry of the Sa’alik poets has a different trend from their peers, it was not a reflection and transmission of the real world, but rather intellectual and psychological visions in which they interpret what they suffer, and seek in their poetry to explain it artistically. From the sincerity of the rhetorical report, we proceed in this study to show the extent of proficiency in expressing truthfulness and reality. Poetry is an emotional, sentimental, and emotional means, through the technical engineering in the text, and the authenticity of the story is the most important means of this formation. From the predicate style and its importance in the rhetorical speech, it becomes clear the poetry of the Sa’alik and their intellectual vision indications contained in their poems: Because the news expresses the emotions, perceptions and aspirations of the narrator, and the extent of his ability to benefit us and influence us. Through that, we can realize the intellectual visions of the Sa’alik poets and demonstrate this through the extent of the poet’s ability to express his human aspirations expressed in their literature.

Keywords (Al- Sa’luk ; Commitment in Poetry ; and the Pride Poetry for Arabs).

المقدمة

يُعنى أصحاب الدعوة إلى الالتزام «أن يتقيد الأدباء، وأرباب الفنون في أعمالهم الفنيّة بمبادئ خاصة، وأفكار معينة، فيلتزمون بالتّعبير عنها، والدّعوة إليها، ويقربونها إلى عقولِ جماهير النّاس، ويحببونها إلى قلوبهم»[١].

ويؤدي ذلك الالتزام في الشعر إلى جملة أشياء منها أَنَّ الشّاعر الملتزم يكونُ واضحاً في التّعبير عن أفكارهِ ويلجأ حينها إلى النّاحية الفنيّة في بعض الوسائل الجديدة غير المستعملة، لإيضاح فكرتِه وترجح الباحثة ذلك في صورة العاذلة. ويظهرُ الشّاعر نفسه بطريقة واضحة فيعبّر عن ذاتِه بصراحة من دونِ حياءٍ أو مواربة في أحزانها وأفراحها، فيصدقُ في التّعبير عن تجربتِه الشعريّة والشّاعر الملتزم في الحياة يحسُّ بالغربة والانفصال عن الواقع، وهذا أمر لا مندوحة عنه، فيظهر ذلك في شعره جلياً[٢].

ولا شكَ في أنَّ الدعوة إلى الالتزام تعني اعتناق وجهة نظر مميزة في الحياة، وتتمثل «في الدعوة إلى التزام الأديب قضايا مجتمعه، وتجنيد أدبه لتصويرها، والتّعبير عنها، وعدم الوقوف على الحياد، أو العزلة، والهرب وهي ترفض- مبدأ (الفن للفن) الذي جرد الفن من الوظيفة، ولم يطالب الأديب بأيّ دورٍ سياسي أو اجتماعيّ أو خلقي»[٣].

فمنذ أن وجد الإنسانُ على الأرضِ، أدركَ بإنسانيته حاجته إلى الاستيطان، والوجود واجتياز المصاعب القاسّية ليحقّق مطامحه، والأهمُ من ذلك التزام الإنسان بما يتحدث عنه، واستيعاب ما يدور في نفسهِ وإيمانهِ بالفكرة التي هي جزءٌ من حياتهِ فيقدّم لهذه الحاجة أَغلى التّضحيات من بطولة وفداء[٤]، لأنَّ «الإنسان في كلّ حياته لا يستطيع أنْ يتحركَ إلاَّ إذا أدركَ موقعَه، وعرفَ أبعادَ وجودهِ، واستطاع أنْ يحدّد البعد الذي يمكن أَنْ يتمَّ في إطارهِ التحّرك ليستطيع أَنْ يكون على صلةٍ بالخط المرسوم والمسار المرتقب للقطر المكاني، والزّماني لواقعِه ومستقبله»[٥].

والأديبُ بذلك المعنى صاحب رسالةٍ لا يسمحُ لشاعريتهِ أَن تحيدَ عنها، ولا لقلمه أَنْ يتجاوزها، وبهذا يصبحُ الشّاعر صاحبَ أهدافٍ ودعواتٍ يحاولُ أَنْ يستمكنَ في قلوب الناس، وأسماعهم عن دعواه بتقيده بتلكَ الأهداف التي تعبرّ عن تجاربهِ وعواطفهِ وانفعالاتهِ[٦]. ولأنَّ رؤية الأديب الفكريّة، ما هي إلاّ نقدٌ للحياةِ، وكشف عن قِيمتها، ولأنَّ علاقة الأدب بالحياة علاقة سببية «فإنَّ النَّقد هو الآخرَ لابدَّ له أَنْ يشاركَ في هذه المسيرةِ الوظيفية المّتفاعلة بالمسيرةِ النّقدية غيرَ منفصلة عن مسيرةِ الأَدب، والحياة معاً في تفاعلهما، وترافدهما تفاعلاً وتوافقاً ينطوي على معنى التّكامل والالتزام»[٧].

ويدرك الشّاعر الملتزم بأنَّ الكلاَم عملٌ وفكرة، يحاول الكشفَ عن سعيهِ وقصدهِ من خلاله، وينبغي لتلك الفكرة أَنْ تنبع من ذاته، ومن أعماق نفسه، ويجب أَنْ تكون حقيقة اهتدى إليها، ومبدأ اعتنقه وآمن بصوابه، فجعل من نفسهِ داعيةً لفكرتهِ وتجربتهِ ومعاناته(٨).

وخلاصة ذلَك الاتجاه أَنَّ الالتزام نوعَ من الحريةِ للكاتب يتمتعُ بها في شعره، ولئن كانَ المجتمع يفرض عليه أفكارهِ ومعتقداتهِ في كتابته، إلا أنّه يستقل في نتاج عبقريته، وقدرته وإبداعه فتنصبُّ ينابيعُ شاعريتهِ بالتّدفق والإشعاع ليصفَ ما يحسُّ بحريةٍ كاملةٍ فيختارَ أبهى الكلّماتِ التي تطربُ الأسماع وتشغف بسماعها القلوب، ويحي بذاته وكرامته للتحّرر من القيودِ لاختيار أحبّ الأعمال إلى نفسه استجابة لذاته، فيسعى جاهداً لتحقيق ما يحبُّ وما يختار. وفي تلك القضّية (الصَّعْلكة) نتبع مدى التزام الصَّعاليك في أشعارهم والأَخبار عنها، ومدى صدق ما دعوا إليه، وما تميزوا به من رؤية فكرية عبرت عليها أهدافهم عبر محورين هما :-

أوّلا: الالتزامُ والدفاع عن القضّية (الصَّعْلكة)

يشكلّ موقف الصَّعاليك في العصر الجاهلي موقفاً محدّداً إزاء الإحداث، موقف مَن حاول أَنْ يتحدى بقدرته ووجوده، ليهتدي إلى المعالجة، وهم يمثلون ظاهرةَ الرّفض، وعدم الرضوخ ومجابهة التّحدي، التي تتجلى بصورةٍ بطوليةٍ في شعرهم، فَلمْ يتركوا للخوف في نفوسهم مكاناً، ولم تكن لذاتهم مصلحةٌ فرديةٌ، فقد استمدوا من المجتمع كلّ معاني القوّة التي تجعلهم يجهرون بالعنف، والقوّة والثّورة بمجدٍ مليء بالمفاخر.

فاندفع الصَّعاليك ملتزمين بقضية (الصَّعْلكة)، ودفعهم ذلك الالتزام إلى الاستهانِة بالحياة من أَجلِ تحقيق مكانة تؤهلهم للوصول إلى حياةٍ كريمةٍ، فكانَ التزام الشّعراء عن طريق القوّة ، وفرض الواقع الذي صورته نفوسهم للوصول إلى خاتمةٍ مشّرفةٍ، وتحقيق حياةٍ كريمةٍ. من ذلكَ قول تأبّط شرّاً(٩) :

من(الطويل)

وَإِنّي- وَلَا عِلْمٌ -لَأَعلَمُ أَنَّني ... سَأَلْقَى سِنَانَ المَوْتِ يَبْرُقُ أَصْلَعا
وَمَنْ يُغْرَ بِالأَبْطَالِ لَا بُدَّ أَنَّهُ ... سَيَلْقَى بِهِمْ مِن مَصْرَعِ المَوتِ مَصْرَعَا
وَلَستُ أَبيتُ- الدَّهرَ- إِلّا عَلى فَتىً ... أُسَلِّبُهُ أَو أَذعَرُ السِربَ أَجمَعَا

لقد صوَّر الشّاعر اندفاع الصَّعاليك في سبيل تحقيق الهدف بالخبر الطّلبي (أَنَّني سَأَلقى سِنانَ المَوتِ يَبرُقُ أَصلَعا) فهو يعلم بأَنَّه سيموت، وقَدْ أَخبرَ الشّاعر بهذه بالدعوة إلى الالتزام بالتّضحية والفداء في سبيل

الهدف. فالشّاعر لا يقفُ موقَف المتفرج إنَّما يضطلع بوظيفةَ تحملُ المسؤولية، وتأكيد قيم الالتزام، والحثُ على المثلِ الأعلى، وهي المشاركة بالنّفس التي هي أغلى ما يملك في مواجهة الأعداء، ولابُّد له من يوم أن يلقي فيه مصرعه، وهو ما أكّده بالخبر الإنكاري (وَمَن يُغرَ بِالأَبطالِ لابُدَّ أَنَّهُ..) الذي صوّرَ المصيرَ المحتوم بالموتِ الذي يتراءى بارزاً أمامَ عينه.

كان الشّاعر محقّقاً صدقَ الخبر الذي عبّرَ عن التزامهِ بـ(القضّية) على الرغم من الوقائع والأحداث التي تنتظره، وهو يفخر بالقدرة الجسدية التي يحارب بها الشجعان التي تمنحه الثّقة الكبيرة في تجاوز الصّعلوك للصعوبات جميعا.

وجعل الشَنفرى جلّ همّه تنفيذ وعده بالقتلِ قائلاً[١٠]: من (الوافر)

أَنَا السِّمْعُ الأَزَلُّ فَلَا أُبَالِي وَلَوْ صَعُبَتْ شَنَاخِيبُ العِقَابِ
وَلا ظَمَأٌ يُؤَخِّرُني وَحَرٌّ ولا خَمْصٌ يُقَصِّرُ مِنْ طِلَابِ

يسجل الشَنفرى جوانب معاناته، وخلجات نفسه فيخبر الشّاعر عن التزامه بقضيته التي يستغل كلّ الظروف لتحقيق «المذهبية الصّعلوكية. فالشَنفرى الذي لا يتقدم صعلوك من الصَّعاليك عليه إقداماً وشجاعةً وحماسة وفتكاً وتنكيلاً بالأعداء»[١١]، صوّر الشّاعر قوة الإرادة وجدية العزيمة، وهو يلتزم التّعبير عن نفسه فلا شيء يثني عزيمته، مشبهاً نفسه بأنَّه ولد الذئب بالخبر الابتدائي (أَنا السّمع الأَزَلُّ فلا أُبالي...) السريع الذي لا يهاب صعود الجبال، والمرتفع الصعب منها.

حقّق الشّاعر صدق الخبر، بالالتزام بقضيته وهو يخبر عن مقاومته للعطش الشّديد والحرّ والجوع، وتجاهل هذا كلّه من أجل أن ينتصر، فهو يصف ذاته التي لا يثني عزيمتها شيء، ولا يحول بينها وبين ما تريد شيء، لتحقيق الأهداف التي يسعى إليها.

ويصور الشَنفرى في أبيات أُخَرى رحلته الطويلة متجولاً في الصّحراء ليؤكد حبَّه للحرية والهروب من الاضطهاد قائلاً[١٢]: من(الطويل)

أُمَشِّي عَلى الأَرْضِ الَّتي لَنْ تَضُرَّني لِأَنْكِيَ قَوْماً أَو أُصَادِفَ حُمَّتِي
أُمَشِّي عَلى أَيْنِ الغُزَاةِ وَبُعْدِها يُقَرِّبُني مِنْها رَوَاحِي وَغُدْوَتي

لقد التزم الشّاعر بالخروج للبحث عن القيم الصَّالحة، فصوّرَ بقدراتهِ الفنيّة من خلال الخبر الابتدائي (أُمَشِّي عَلى الأَرضِ الَّتي لَن تَضُرَّني) فهو يدعو إلى المشي على الأرض التي لم يجد الإنسان أعزَّ منها، فهو يفتش عن الأرض التي تلبي طموحه، والالتزام (بالقضية) يحتم عليه البحث عن المكان الذي يلوذ به،

والذي يسجلُ لنفسه البقاء والخلود «إنَّ الارتباط بالأرض، والالتزام بما تحمله تلك الأرض من معان لم يترك الشّاعر عبداً لها أو خاضعا لما تفرضه عليه من التّزامات، لأنَّه عندما كانَ يجدُ نفسهُ غَيْرَ قادرٍ على المقامِ بها، أو العيش فوقَ أَرضها لأسبابٍ تخرجُ عن طاقته، وتبتعد عن القدرة التي يستطيعُ بواسطتها أنْ يدافعَ عن نفسه ما تؤديه التّزاماته، وهو يرضخ لها»[١٣]، فتبيّن التزامه من أنه يفضل الغربة والعيش في الصّحراء على أَن يحيا في بيئة لا تحفظ كرامته، وقد مزجَ الشّاعر بالخبرِ الابتدائي (أُمَشّي عَلى أَينِ الغَزاةِ وَبُعدَها) الذي تبيّن فيه الشّاعر مدى التزامه برفضه للواقع، والخضوع للذلّ، وتحدي التّقاليد في الأرض الواسعة التي كان يغزو فيها على قدميه، لا يخافُ بها أحداً، ولا يخشى بها منيّةً، فهو يسير بالعشي وعند طلوع الشّمس باحثاً عن الحريّة، والعيش الكريم.

كان الشاعر محققاً صدق الخبر من التزامه الصَّادق لقضيته، لانَّ «الأديبَ لا يستطيع أن يبدع أَو يجّيد إذا أُلزم بأنْ ينهجَ نهجاً معيناً، أو إذا رُسمَ له طريقٌ لا يتجاوزه، لأنّه ينفرُّ بطبيعته من السّدود، والقيود ويفقد أَدبه عنصر الصّدق، إذا ألزم بأنْ يحقّق غايات، لا تعبّر عن نفسهِ، وعن صدق مشاعرهِ»[١٤]، فالشَنفرى يعشقُ الحرية ويكسر القيود.

يصور عروة الحياة الاجتماعيّة متمثلاً بحواره مع العاذلة، إذ نلمحُ في بنائها إحساس الالتزام بالحياة، والصَّعْلكة ليسقط عليه أحاسيسه ومشاعره، وما يجول في ذهنه ليرد على العاذلة التي تلومه آخر اللّيل قائلاً[١٥]: من (الطويل)

أَقِلِّي عليَّ اللَّوْمَ يا بِنْتَ مُنْذِرٍ ... وَنَامي، وإنْ لم تَشْتَهِي النَّوْمَ فَاسْهَرِي
ذَرِيني وَنَفْسي، أَمَّ حَسَّانَ إنّني ... بها قَبْلَ أَنْ لا أَمْلِكَ البَيْعَ مُشْتَرِي
أَحَادِيثَ تَبْقَى وَالفَتَى غَيْرُ خَالِدٍ ... إذا هُوَ أَمْسَى هَامَةً فَوْقَ صَيَّرِ
ذَرِيني أُطَوِّفْ في البِلاَدِ لَعَلَّني ... أُخَلِّيكِ أو أُغْنيكِ عَنْ سُوءِ مَحْضَرِي
فإنْ فَازَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَّةِ لَمْ أَكُنْ ... جَزُوعاً، وَهَلْ عَنْ ذَاكَ مِنْ مُتَأَخِّرِ
وَإنْ فَازَ سَهْمي كَفَّكُمْ عن مَقَاعِدٍ ... لَكُمْ خَلْفَ أَدْبَارِ البُيُوتِ وَمَنْظَرِ

يخاطب الشّاعر عاذلته طالباً منها الكفّ عن لومه، عَبْرَ الخبر الطّلبي (إنّني بها قبلُ أن لا أملِكَ البيع مُشْتَرِي) ليفخرَ (بقضيته) التي تبناها ليسابق الزمن فهو مشترٌ للموت قبل أَنْ لا يملكَ الشّراء، وهو يبذلُ نفسه في سبيل المجد، والذكر الحسن،فقد كان الصّعلوك حريصاً على أَنْ يخلدَ ذكره بعد مماته فيخبر عن تلك الأحاديث بالخبر الابتدائي (أَحاديثَ تَبقى وَالفَتى غَيرُ خالِد...) فكلّ إنسان بعد أَنْ يوارى الثّرى،

في اعتقاد الجاهلّيون ، إذا قتل غدراً يخرج من رأسه طائر يصرخ: اسقوني اسقوني، حتى يؤخذ بثأره[١٦].

ثُم يبيّن الشّاعر التّزامه بالكرم لتشيع أخبارَ كرمه بَيْنَ النّاس، وإنَّ غايته الأوّلى، والأخيرة هي البذل والعطاء فيخبر عن فور خروجه بالخبر الطّلبي (فإنْ فَازَ سَهْمٌ للمَنِيّةِ لَمْ أَكُنْ...) ويخبر بأنْ ساعته لن تتأخر إذا حانَ أَجله، ثُمَّ يردفه بالخبر الطّلبي الأخر (وَإنْ فَازَ سَهْمي كفَّكم عن مَقَاعِدٍ...) حال فوز سهمه أي: عندما يسلم، ويغنم فيكفهم عن أدبار البيوت، فتبّين التزام الشّاعر المخاطرة بنفسه على إيمانه بحتميّة الموت، وإنَّ خروجه، وتطوافه ليؤمن العيش لأصحابِه، ولكلّ مستغيث يستغيث به، وهو دلالة اختياره تبادل الحديث ليلاً ليكون دليل على إصراره وعزمه فيما ذهب إليه. لأن الليل موطن الراحة والسهاد، إلا أن الصعلوك لا يعرف الراحة بحثاً عن الحياة التي يبغاها.

فقد أجاد الشّاعر بالأسلوب الخبريّ التّعبير عن الالتزام لكونه الرئيس والمدبر والموجه لفقراء قومه، فكشف بأسلوب صادق ومؤثر عن أحاسيس صادقة، ليبثَ لنا قيم الشّجاعة والفروسية، والمبادئ السامية عَبْر أخباره، وعبّر بذلك عن ذاته الرافضة للمجتمع المهين، فهو يفضل الموت على العيش في الذّل مادَام ثائراً على أعراف القبيلة، فهو يضرب الأرض بأطرافها ليحقّق طموحه، فإحساس الشّاعر الصّادق المؤثر أمكنه بما امتلكه من الإبداع من بثّ همومه ومعاناته، وإحساسه باليأس في ظلِّ مجتمعه فهو مقتنع كلّ الاقتناع بما يفعله، وهو يراها من أجلّ الأعمال، وأعظمها لأنَّها تمثل له هدفاً نبيلاً، وسامياً يسعى إليه .

ثانيا – التزام الصَّعاليك بإبراز ظاهرة الفقر والضّياعُ:

استطاع الصَّعاليك أَنْ يسجلوا الأحداث، ويدوّنوا الوقائع، ويسجلوا للتأريخ الفخَر بنفوسهم في أقسى الظروفِ الاجتماعيّة، إذ تمكنوا من أَنْ يبرّزوا الدوّر القيادي له في الظّروف الاجتماعيّة القاسّية، فصوّروا المشاعَر الإنسانيّة من الواقع الذي اكتسبوا منه الاعتزاز بالنّفس، الذي تمثل بأشعارهم، وصوّروا الإحساس بذلك الصّراع ليبرز الجانب الملتزم للتشديد على الأخلاق، والواجب والقيم النّبيلة.

فالشّاعر تأبّط شرّاً قد صور بأسلوب صادق، ومؤثر جّداً لما يعانيه من حرمان، ويأس فيصفُ روحه، وما تحمله من شيم الإباء في قوله[١٧]:من (الطويل)

قَليلِ اِدِّخَارِ الزَّادِ، إِلَّا تَعِلَّةً وَقَدْ نَشَزَ الشُّرْسُوفُ وَالتَصَقَ المِعَى

فقد صوّر الشّاعر في هذا البيت بالخبر الابتدائي (قَليلِ اِدِّخارِ الزادِ إِلّا تَعِلَّةً) بأنَّه لا يملكُ من الزاد إِلّا ما يتعلّل به ويسدّ به الرمق، ثُمَّ أردفه بالخبر الطّلبي (وَقَد نَشَزَ الشُرسوفُ وَالتَصَقَ المِعى) ليخبر عن هزال

جسمه فيرى رؤوس أضلاعه شاخصةً، وأمعاءهُ قد التصقت بجنبه لقّلة الطّعام، والجوع الشّديد، كما عبّر الشّاعر عن انتقاده اللّاذع لمجتمع لا يكون فيه الّزاد للفقير (إلّا تعلّة) ومعناه القليل الذي يتعلّل به، ولا يشبعُ، مصوراً بذلَك مجتمعه، ومدى الحرمان الذي يسلبُ الإنسان أبسط حقوقه، وهو زاده اليومي الذي يقوت به حياته باخساً حقّه فيه.

وقد أصابَ الشّاعر صدَق الخبر بتصوير الواقع الذي يعانيه الصّعلوك من قلّةِ طعام الذي حثه لامتهان الصَّعْلكة، فتّبين التزام الشّاعر بالتّعبير عن الفقر، والجوع والحرمان ليخبَر عن حالهِ وحَال كثيرين من أمثاله، وهي صورة بائسة لإنسان مضطهد.

ويفخر الشَنفرى بصبره، وتحملّه للجوع، والمماطلة على تحمل الجوع قائلاً[١٨]: من (الطويل)

أُدَيمُ مِطَالَ الجُوعِ حَتّى أُمِيتَهُ ... وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فَأُذْهَلُ

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلَا يُرَى لَهُ ... عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ اِمْرُؤٌ مُتَطَوَّلُ

يخبر الشَنفرى بأسلوب صادق مؤثر بالخبر الابتدائي (أَديمُ مِطالَ الجوعِ حَتّى أُميتَهُ) عن مدى المكابدة التي يعيشها الصّعلوك، وهو يتماطل مع الجوع للتغلب عليه، فيخبر عن انتصاره عليه بالخبر الابتدائي (وَأَضرِبُ عَنهُ الذِكرَ صَفحاً فَأَذهَلُ) ليفخرَ بانتصارهِ على رغبة الجسد، ليجعله منفذاً للتعبير عن شجاعته، وصبره وقهره لإحساس الجوع، حتّى يفضل أَنْ يستفَّ ترب الأرض على أَنْ يمدّ يده لأحد فيمُنَّ عليه، كونه يحرصُ على كرامة نفسه، فهو أرفع من أن يتذلل إلى البشر، ولقد تبيّن التزام الشّاعر لاحترام ذاتهِ وقيمه، ومبادئه محقّقاً صدقَ الخبر الذي صور ذلكَ الصّعلوك المثابر على حفظ ذاته من أن يمد يد العون للغير فبين مدى التزامه للتعبير عن القضية.

أمَّا الالتزام بالعمل والسّعي للحصول على بغيته، فيمثله قول عروة[١٩]: من (الطويل)

إِذا المَرْءُ لَمْ يَبْعَثْ سَوَاماً وَلَمْ يُرَحْ ... عَلَيْهِ، وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهْ

فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِلفَتَى مِنْ حَيَاتِهِ ... فَقيراً، وَمِنْ مَوْلىً تَدِبَّ عَقَارِبُهْ

وَسَائِلَةٍ: أَيْنَ الرَّحِيلُ؟ وَسَائِلٍ ... وَمَنْ يَسْأَلُ الصّعلوك أَيْنَ مَذَاهِبُهْ؟

مَذَاهِبُهُ: إنَّ الفِجَاجَ عَرِيضَةٌ ... إِذا ضَنَّ عَنْهُ بِالفَعَالِ أَقَارِبُهْ

صورَ الشّاعر الالتزام في سبيل تحقيق الهدف بالخبر الطّلبي (إِذا المَرءُ لَم يَبعَث سَواماً وَلَم يُرَح ...) أي إذا لم تكن للمرء ماشّية يتركها نهاراً، ثُمَّ تعودُ مساءً إلى مراحها، فهو فقير يعاني من الحاجة، وإذا تخلّى عَنه أهله، وأقرباؤه فهو يعاني العناء الأكبر، إذ لا يتقبل احتقار ذاته في كنف المجتمع الجائر، فيبيّن فخره

بنفسهِ بالاستهانة بحياتِه، فالموت عنده خير من تلك الحياة المهينة، فالتزام الصّعلوك منهَج الصَّعْلكة الذي يتجاوز أَعراف القبيلة. ثُمَّ يبيّن بالخبر الطّلبي (مَذاهِبُهُ أَنَّ الفِجاجَ عَريضَةٌ...) أيضاً أنَّ الصَّعْلكة لا تعرُف الاستقرار فالصَّعاليك، يصولون ويجولون في فلوات الصّحراء إذا ضنّ الأهلُ والأقاربُ عليهم بالعطاءِ والعون، فالأرضُ واسعةُ تغنيهم عنهم.

يتبيّن لنا ممّا سبق أنَّ الشّاعر قد حقّق صدق الخبر بالالتزام بإظهار الفقر، فهو يصور العمل الذي ساهم في بناء الحياة الكريمة للإنسان وهو غير ملزم بأداء ما فرضته عليه طبيعة الحياة والخضوع للقبيلة ، وهو يدعو إلى نضوج فكرةَ العمل والسّعي بمغامرة وكفاح على أن يمد يده لأحد.

ويصور عروة بن الورد ألم (الفقير)، وما يعانيه من احتقار مسوغاً لمن يعذله بأنّ (الصَّعْلكة) منهج يتلاءم مع الواقع قائلاً[٢٠]: من (الوافر)

دَعيني لِلغِنى أَسعى فَإِنّي ... رَأَيتُ الناسَ شَرُّهُمُ الفَقيرُ
وَأَبعَدُهُم وَأَهوَنُهُم عَلَيهِم ... وَإِن أَمسى لَهُ حَسَبٌ وَخيرُ
وَيُقصيهِ النَديُّ وَتَزدَريهِ ... حَليلَتُهُ وَيَنهَرُهُ الصَّغيرُ
وَيُلفى ذو الغِنى وَلَهُ جَلالٌ ... يَكادُ فُؤادُ صاحِبُهُ يَطيرُ
قَليلٌ ذَنبُهُ وَالذَنبُ جَمٌّ ... وَلَكِن لِلغِنى رَبٌّ غَفورُ

إِنَّ الإحساس بوطأة حياة الفقير اقترنت بوعي الشَّاعر عروة فهو يعي مشكّلة الاختلاف الطّبقي بين الغني والفقير، فيرد على عاذلته التي تلومه كثرة الخروج مفتخراً (بقضيته) بالخبر الطّلبي (فَإِنّي رَأَيتُ الناسَ شَرُّهُمُ الفَقيرُ) محاولاً إقناعها بأنَّ السَّعي أمراً محموداً للتخلص من تلك الطبقية، وأنْ يحقّق العدالة في سبيل الوصول لحياة كريمة. ورفع الغبن عن الفقراء لأنهَّم أبعد النّاس وإنْ كان الفقراء ذو شرف، فيرسم عروة صورة الفقير في المجتمع بالأخبار الابتدائيّة (يُقصيهِ النَديُّ) (وَتَزدَريهِ حَليلَتُهُ) (يَنهَرُهُ الصَّغيرُ)، مبيناً مدى احتقار المجتمع للفقير إذ يبعدونه عن المجالس، وتحتقره زوجه، وينهره الصّغير، وهو يشاطر الفقير إحساسه بالألم ممَّا أدى به إلى رفض الوضع المزعج، والعمل على تخطيه انطلاقاً من أدائه العميق بعد التّكافؤ الاقتصادي والاجتماعيّ وان تفضيله لحياة الأغنياء ليس حباً في المال سوى ما يجد للغني من سيادة وهو يصور ذلك الغني بالخبر الابتدائي (وَيُلفى ذو الغِنى وَلَهُ جَلالٌ) ليخبر عن حال ذلك الغني من تعظيم وإجلال مؤكّداً هذا المعنى بالخبر الطّلبي (قَليلٌ ذَنبُهُ وَالذَنبُ جَمٌّ ...) لأنَّ ذنوب الغني مهما عظمت لها رباً غفوراً.

يصور عروة (الالتزام) بتصوير (حال الفقر) الذي شاع في المجتمع وهنا يريد الوصول إلى السيادة ويرفض الوقوف موقف البائس الضعيف لمواجهة الصعاب، ولاسّيما وهو الفارس الرافض للاستسلام ساعياً نحو الحرية، ونفي القيود التي تفرضها الحياة في ظروف لا أرادة له فيها.

وقد حقّق الشّاعر صدق الخبر وهو يصور الالتزام بإظهار قضية الفقر والحرمان والتمايز الحقيقي، ونظرة المجتمع المهينة للفقر، فخرج على المجتمع والنّظم الجاهلّية التي تميز الغني عن الفقير.

أما السُّلَيْك فيعبّر عن قضيةِ الصَّعْلكة، بأنْ يسوِّغُ لنفسهِ المشاعر التي تنتابه، والتَّي عبَّر عنها بشكلّ واضح بصورة دقيقة لإبراز ما كان يدور في نفسه قائلاً[٢١]: من (الطويل)

وَما نِلْتُها حَتَّى تَصَعْلَكَتُ حِقْبَةً وَكنْتُ لِأسبابِ المَنيَّةِ أُعرَفُ

وَحَتَّى رَأَيْتُ الجُوعَ بِالصَيفِ ضَرَّني إِذا قُمْتُ يغشاني ظِلالٌ فَأُسْدِفُ

عبّر الشّاعر بالخبر الابتدائي (وَما نِلتُها حَتّى تَصَعلَكتُ حِقبَةً ...) عن حالةِ الجوع التي تنتابه، فصور الهزال، والضّعَف والجوَع، وحرارة الشّمس اللّاهبة التي سببت له الإغماء، والتي كادت تؤدي به إلى الموت، فكانت صرخة الجوع للشّاعر تدعوه إلى الالتزام بأهدافه لاستعادة الحق المناسب وهي وجهة التزام للتعبير عن الفئة المحرومة.

أمَّا دلالة أخبار الخبر الطّلبي (وَحَتَّى رَأَيْتُ الجُوعَ بِالصَيفِ ضَرَّني...) فعبّرت عن حالة الإغماء في فصل الصّيف الذي يكون فيه وضع الجوع أقلّ صعوبة، حيث لا يكّاد يجوع أحدٌ بالصّيف لكثرة اللّبن، والخيرات في مجتمعهم. من هنا تتبيّن تمردهم على واقعهم البائس، الذي جعله مسوِّغاً لاحترافه الصَّعْلكة و «سبيلاً لتجاوزهم فقرهم، وشظف عيشهم، متخذين الغزو والنهب والسلب والسّرقة، وسيلة لكسب عيشهم، وإثبات وجودهم وإرضاء مطامعهم»[٢٢].

وبذلك حقّق الشّاعر صدق الخبر، وهو يصوّر حالةَ المجتمع الذي ينتمي إِليه، فعكس في شعره حالة الجوع واليأس الذي أدى إلى تصّعلكه، والتزم الفخَر بالصَّعْلكة التي أصبحتْ منهجَ حياتِه، فعبّرَ الشّاعر عمّا يضطرُم في أعماقِ نفسهِ، وأفصح عن ذاتهِ بصدق.

بعد هذه الوقفه مع صدق الخبر في فخر الصعاليك ، وما كان له اثر في التعبير عن افكارهم ، لابد لنا ان نجمل في نهاية المطاف **أهم النتائج التي توصلت إليها كما يأتي:**

١- وجدنا صدق الخبر في شعر الفخر عند الصعاليك من خلال الفخر بالصعلكة، وأنماط صورهم ودلالات أشعارهم وأشكال تخيلهم ، ليست سوى محصلة لواقعهم لما عانوه في مجتمعهم ، وهو ما يعني

أنه لم يكن تمردهم ليس ثمة ما يمكن أن ينشأ من فراغ.

٢- بينت أخبار الصعاليك التزام الشعراء بقضايا مجتمعهم ، مجندين أدبهم لتلك الأخبار، فكان للصعاليك موقف ودور على الجانب الاقتصادي يدعو إلى السعي إلى العدالة الاجتماعية.

٣- أما على الصعيد السياسي فأعلنوا التمرد والثورة وعدم الرضوخ للذل والقهر.

٤- تبين أخبارهم التزامهم الخلقي فعلى الرغم من التشرد والغزو كانوا يحملون أخلاق البادية من كرم وشجاعة ومروءة.

٥- من أسمى المعاني التي تبنت في شعر الفخر هو (الكرم) وما تحمله نفوسهم الكريمة من عطاء ، فهم يهتفون بالعطاء والإيثار وهي دليل على رحمة نفوسهم ، وفي هذه المعاني التي تقترب من روح الإسلام.

الهوامش

١ – قضايا النقد الأدبي: ص١٥ .

٢– مناهج النقد الأدبي الحديث، د. وليد قصّاب، دار الفكر، دمشق ط١، ٢٠٠٧م.

٣ – مناهج النقد الأدبي الحديث : ص٤٠ .

٤ – ينظر: الأديب والالتزام: ص٧ .

٥ – المصدر نفسه: ص ٨ .

٦ – ينظر: قضايا النقد الأدبي : ص١٥ .

٧ – اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين : ص ٦٥ .

٨ – ينظر: قضايا النقد الأدبي : ص٢٦ .

٩ – ديوان تأبط شراً : ص ١١٨ .

١٠ – ديوان الشَنفرى: ص٣٠ .

١١ – الشَنفرى شاعر الصحراء الأبي: ص٩٦.

١٢ – ديوان الشَنفرى : ص٣٥ ، الحُمَّة :المنيّة . الأين : التعب . أمشي على أين الغزاة : امشي على ما يصيبني من تعب . الرّواح : السير في العشّي . الغُدوة : السير في الغدوة وهي أول النهار او طلوع الفجر.

١٣ – الأديب والالتزام : ص٥٠ .

١٤ – قضايا النّقد الأدبي : ص٨١ .

١٥ – ديوان عروة بن الورد : ص٤٥–٤٧ . الهامة : طائر اعتقد الجاهليون بأنه يخرج من رأس المقتول من دون ديّة، فيصرخ : أسقوني حتّى يؤخذ بثأره . صيّر : قبر . فاز سهمي، كناية عن الحظ . الجزوع : المشفق، كفكم : صانكم . خلف إدبار البيوت: الأماكن التي يسكن فيها المحتاجون.

١٦ – – ديوان عروة بن الورد : ٤٥ .

١٧ – ديوان تأبط شراً: ص١١٥ . تعله : ما يعلل به، النّشوز: الشّخوص، الشرّسوف: مقاطع الاضلاع .

١٨ – ديوان الشَنفرى : ص٦٢ .

١٩ – ديوان عروة بن الورد : ص٢٠ . السوام : كلّ ما يرعى في الفلوات من ماشية . لم يرح : لم ترد إلى المراح . دبّت عقاربه : سرتْ نمائمه . المذاهب : المقاصد . الفجاج : الطرق الواسعة بين جبلين . ضنّ : بخل.

٢٠ – ديوان عروة بن الورد : ص٦٣ .

٢١ – ديوان السُّلَيْك : ص١٤ . تصعلكت : افتقرت . أسدف : أظلم .

٢٢ – التراث الأدبي والمعاصر بين الحقيقة والوهم: ص١٢٩ .

المصادر

١. السّمري ، د. إبراهيم عبد العزيز، اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠١١ م.

٢. القيسي ، د. نوري حمودي، الأديب والالتزام، ساعدت دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٧٩م.

٣. النعيمي ، احمد إسماعيل، التراث الأدبي والمعاصر بين الحقيقة والوهم، مكتبة دجلة ، بغداد ، ط١، ٢٠١٧م.

٤. ديوان السُّلَيْك بن السُّلَكَة أخباره وَشِعره ، دراسة وجمع وتحقيق حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد ، مطبعة العاني – بغداد، ط١ ، ١٩٨٤م.

٥. ديوان الشنفرى، جمعه وحققه وشرحه د.مثيل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٩٦م.

٦. ديوان تأبط شرًا ،تحقيق سلمان داود القرغلي و جبار تعبان جاسم ، مطبعة الادب – النجف الأشرف، ط١، ١٩٧٣م .

٧. ديوان عروة بن الورد، شرح ابن السكيت، دار الكتاب العربي، لبنان، ٢٠٠٥م٠

٨. د. محمود حسن ابو ناجي ، الشَنفرى شاعر الصحراء الأبي ، سحب للطباعة ، الجزائر ، ٢٠٠٧م.

٩. بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٤م ٠

١٠. د.وليد قصّاب، مناهج النقد الأدبي الحديث ، دار الفكر ، دمشق ط١، ٢٠٠٧ م .